تـمّ تحميـل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنـامج

كلمات من نور الله

الحلقة الرابعة والثلاثون

مقدمة موسيقيــة ..

المذيع : الكلمة رسالة الله الخالدة إلى عباده . فهي صوت يتردد في الأذن . أو نور يقذفه الله في القلب أو فكرة يحتفل بها عقل إنساني سليم . ومهما تكن صورتها فهي ذات طبيعة واحدة .إنها الرسالة التي كان بها الإنسان خليفة الله في الأرض ..

نقلـــة موسيقـية ....

سعيد : بصوت متعب ... السلام عليكم ورحمة الله .

أصوات : وعليك السلام.

سالم : أراك متعباً يا أخ **سعيد**.

جاسم : ما هذا ؟ ضمادات .. خير ان شاء الله.

سعيد : حادث بسيط .

محمد : لا بأس عليك . ولكن كيف جرى هذا الحادث لك ؟

سعيد : خرجت في الصباح مبكرا . وقلت في نفسي أمشى قليلا لاستعادة نشاطي قبل مباشرتي لعملي اليومي. وقد حاولت أن أجتاز الطريق عرضاً . والمؤسف أنني انتظرت طويلا ثم خيل لي أن في وسعي اجتيازها فأقدمت على ذلك لكن سيارة مسرعة جداً لامستني في يدي فأصابتها برضة شديدة.

سالم : لا حول ولا قوة إلا بالله .

جاسم : إنها عادة السرعة المؤسفة .

محمد : ولو فرض أن جرى تحقيق في الحادث لتبين بأن سبب هذه السرعة هو التصرف غير المسؤول أو لنقل الغرور .

سعيد : اعتقد انه الغرور يا أخ محمد . الغرور الذي ينسى به الإنسان حجمه الحقيقي ويحاول أن يتفوق به على نفسه بأسلوب غير أخلاقي .

سالم : أو لنقل أنها الرغبة في التغلب على الزمان والمكان .

جاسم : هذا معقول . ولكن هذه الرغبة يمكن أن يشبعها الإنسان بعيداً عن الناس ممن لا يشاركونه السباق بالسيارات . الحقيقة أنه الغرور والكبرياء الجوفاء .

محمد : التغلب على الزمان والمكان مطلب إنساني مقبول مغروس فيأأعماق النفس حين يتم بطريقة معقولة فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالسير في الأرض والنظر في الخلق . ومن الطبيعي أن يساعدنا هذا النظر وذلك السير على اكتشاف قوانين الطبيعة والإفادة من نعم الله .

سعيد : لعلك تقصد إلى قوله تعالى في الآية 20 من سورة العنكبوت : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "..

محمد : هذا صحيح .

سالم : ولكن هذه الدعوة الإلهية مشروطة كما يبدو لي من سياق الآية الكريمة بالتأمل في عظمة الخلق الإلهي . إن السير في الأرض والنظر في أسباب الخلق وقوانينه ينتهيان إلى الاقرار بأن من ينشىء هذا الخلق يستطيع أن ينشىء مثله مرة أخرى .

جاسم : إذاً الفرق بين باحث عن أسرار الخلق الإلهي وباحث آخر هو أن الأول لا ينسى مهما أصاب من النجاح أنه عبد من عباد الله بل لعل نجاحه يغذي فيه إحساسه بالعبودية . بينما الثاني يستهويه ما يجد من الأسرار فيصيبه الغرور ويتصرف تصرف الذي غلب عليه هواه .

محمد : هذا هو معنى السرعة وإظهار القوة في غير مكانهما . إنهما يعنيان فقدان الإحساس بالمسؤولية أمام الله وأمام الناس .

سعيد : ومن هنا جاء في محكم كتاب الله ما ينبه الإنسان إلى ضرورة النظر في نفسه وإلى معرفة حده والوقوف عنده . لقد قيل للإنسان في كتاب الله : " وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا " ليتذكر دائماً أنه عبد من عبيد الله.

سالم : ولعل الله سبحانه وتعالى قد قصد إلى توطيد الإحساس بالتواضع مع تشجيعه على اكتشاف أسرار الخلق والسير في الأرض حين قال للإنسان في سورة الإسراء : " وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37)كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38)"..

جاسم : ومع ذلك فإنّ كثيراً من الناس لا يقفون عند حدودهم فيتجاوزونها ويتصرفون كما لو أنهم يمسكون بمصائر الحياة والموت ويقررون مصير الكون كله .

محمد : هؤلاء هم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في سورة المعارج بقوله : " إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22)الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)",.

سعيد : ولكن هل الغرور يا أخ محمد هو الذي يبدو حين تتوفر لصاحبه أسباب القوة المادية وحسب ؟ فما رأيك بالذين يزعمون أنهم قادرون على معرفة كل شيء دون الاستعانة بوحي من السماء مثلا ؟

محمد : أعتقد أن هذا هو مظهر آخر من مظاهر الغرور.

سالم : هذا الزعم، ما هي النهاية التي انتهى إليها أصحابه؟

جاسم : هل يمكن أن نقول مثلاً : إن الذين وضعوا كتاب الله وراءهم ظهرياً بدعوى أنهم يملكون العقل الذي يعرفونه به كل شيء هم من فئة المغرورين ؟!.

محمد : الغرور لا تصنعه القوة المادية وحسب ولا يغذيه المال الوفير فقط . بل هو أيضاً ثمرة للأوهام والمزاعم الفكرية التي يعتقد أصحابها أن في وسعهم الاستغناء بها عن كل مصدر سماوي .

سعيد : هل في دروس أستاذنا أبي عبد الله ما يساعدنا على اتخاذ موقف واضح ؟

محمد : أعتقد أن الأخ سالما يذكر من آراء أستاذنا أبي عبد الله في هذا الميدان شيئاً كثيراً.

سالم : أذكر بهذه المناسبة أن استاذنا رحمه الله كان حريصاً في دروسه كلها على توكيد ظاهرة الغرور في طريقة التفكير ومناهج التأمل عند الشعوب التي لم تعترف بالوحدانية .

سعيد : هل للأخ سالم أن يزيدنا ايضاحاً؟

سالم : كان رحمه الله يردد دائماً : " يا كَلَّ ما كان يقوله هؤلاء الناس الذين عجزوا عن الوصول إلى الوحدانية .. ويا كَلَّ ما يرددونه حتى اليوم ." وكان يؤكد دائماً أن الغرور هو الذي جعل شعوباً تتمسك بعباداتها الأسطورية . وجعل شعوباً أخرى تتعلق بأهداب خيالات يسمونها منطقاً ومناهج تفكير وهي في الحقيقة تركيبات ينشؤونها ويضعون بها قصة للبشرية والخلق خاصة بهم .

جاسم : هذا كلام يحتاج إلى مزيد من الحوار .

محمد : بالطبع فإنّ أستاذنا رحمه الله هنا يلامس موضوعات بالغة الأهمية ويقرر معها أن طريقة التفكير السليم هي التي أتى بها الوحي المنزل من السماء .

سعيد : هل يعنى هذا الكلام أن أبا عبد الله رحمه الله كان يرفض حصيلة الفكر عند الشعوب غير الإسلامية؟

محمد : نعم كان يرفض كل فكر غير الفكر الإسلامي . ويؤكد بأن الفكر الإسلامي قد فقد اليوم وضاع أصحابه في متاهات بعد أن أصبحوا مقلدين لسواهم.

سالم : الثابت أن المسلمين قد أصبحوا فريسة للأهواء الفكرية وتحولوا إلى شيع وفرق متقاتلة متدابرة بسبب من الأفكار الوافدة التي أتتهم من الخارج.

جاسم : ولكن قولوا لي : لماذا كان أبو عبد الله يرفض كل فكر غير الفكر الإسلامي؟ ما هي الأسباب التي دفعته الى اتخاذ هذا الموقف ؟

محمد : السبب الرئيسي كما كان يقول دائماً هو خطأ المنهج الفكري عند غير المسلمين .

جاسم : وأين مواطن هذا الخطأ وكيف نبرزها؟

محمد : كان يقول رحمه الله : لقد فشلت حضارات وشعوب في طرح رؤية فكرية سليمة حين جعلوا من الأسطورة ينبوعاً لتفكيرهم الديني .

جاسم : مثل من ؟.

محمد : مثل الشعوب القديمة التي ركبت رأسها . كالشعب اليوناني القديم حين عبد آلهة الأولمب والشعب اليوناني حين تعلق بأذيال الأوثان . وشعوب أخرى غلب عليها خرافات وأساطير وجعلت من بعض الناس أرباباً وآلهة.

سعيد : اسمحوا لي أن أشارك في إيضاح هذا الجانب من الموضوع.

سالم : نحن ننتظر مشاركتك فيه.

سعيد : العجز عن الوصول إلى الوحدانية والإيمان بها لم يكن بسبب من تغلب الأساطير والخرافات على شعوب وثنية معروفة فقط . بل هناك شعوب رفضت أساساً فكرة الخالق الأزلي ولم تهتم إلا بتنظيم المجتمع تنظيماً عملياً كالبوذية مثلاً ..هذا دين ملحد لا يؤمن أصحابه بالإله الواحد . بل يعتقدون أن خير مصير للإنسان هو الفناء أي العدم وأن العدم هو الذي يحقق الخلاص وحسب.

جاسم : فما رأي الأخوان بقصة عبادة العجل عند اليهود مثلاً أيام كان موسى عليه السلام معهم في صحراء التيه ؟! ..

محمد : جواباً عن هذا السؤال نعود إلى القرآن الكريم . لقد جاء فيه قوله تعالى من سورة الأعراف : " وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ".

سعيد : هذه الآية الكريمة تصور لنا الفقر الفكري العجيب وتفاهة مفهوم الخلق عند هؤلاء اليهود. إنهم يستطيعون أن يدركوا معنى الخلق الذي تحقق به نظام الكون وظهرت به أشياء الحياة المعجزة. لقد كانوا مستعدين للاستسلام أمام أية خرافة طفيلية . إنه الغباء الذي يدل على عمى البصيرة .

محمد : تابعوا معي الآية الكريمة في طريقتها الاستدلالية البسيطة والمحكمة في الوقت نفسه . إنها تتساءل قائلة : " ألم ير هؤلاء الضالون أن هذا العجل كائن عاجز حتى عن الكلام والمحاورة ؟ ألا يشعرون أنه أضعف من أن يميز الخير من الشر فيهديهم سبيل الرشاد ؟!؟.. "

سالم : المهم في هذا الحوار أن استاذنا أبا عبد الله رحمه الله اعتبر كل تفكير ينتهي بصاحبه إلى اصطناع آلهة اسطورة أو الى إنكار وجود الخالق وجود الخالق الواحد المبدع والمدبر أو إلى عبادة حيوان مصنوع من الحلي الذهبية هو تفكير تافه ونظرة غبية .

محمد : وكان رحمه الله دائماً يطالب الإنسان بأن يفتح عقله وقلبه لما في الكون من مظاهر معجزة مدهشة ولما في الحياة من أشياء تثير التأمل العميق . كان يطالبه بأن يسأل نفسه دائماً : هل يمكن لهذا الخلق العظيم أن يصدر عن آلهة اسطورية عابثة متناحرة أو عن المصادفة البلهاء أو عن أصنام يصنعها الإنسان من مادة المعدن أو الحجر؟؟! .

سالم : صدق الله سبحانه وتعالى حين قال : " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"..

جاسم : اذا كان هذا صحيحاً بالنسبة للأديان الاسطورية التي تتعبد لبعض الأوثان بسبب من جهل أصحابها بعظمة الخلق وأسراره فما رأيكم بالشعوب المعاصرة والمفكرين من أبنائها والعلماء منهم بصورة خاصة حين يصرون على إنكار الوحدانية وتجاهل الفكر الإسلامي ؟

محمد : هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه في اجتماعنا اليوم فلنرجىء مناقشتنا لهذه الظاهرة إلى لقائنا القادم إن شاء الله .

موسيقى نهايـــة .....